Ramsès Younane écrit sur Delacroix

أوجين ديلاكروا زعيم الحركة الرومانتيكية

حامت حول مولده شبهات ، فقيل انه ثمرة عشق وليس وليد زواج . وتعاقبت عليه الامراض وهو صغير ، فأورثته جسما ضامرا هزيلا . واوشك ان يلقى حتفه فى حريق ، وانقذ مرتين من الغرق ثم تجرع سما دون ان يدرى ، وكاد يشنق نفسه غير عامد . . وهكذا يبدو ان صاحب « قارب دانتى » و« مذبحة سافز » و « فتح القسطنطينية » و « الحرية تقتحم المتاريس » و « نساء الجزائر » . . كان قد أعدته الاقدار من قبل ليتزعم — فى ميدان فن التصوير — تلك الحركة العظيمة التى اقترنت بمعركة « هرنانى » فى ساحة الادب .

لقبوه بالاسد لحبينه وتمرده وجموحه ولكنه فى حقيقته مزيج عجيب من العنفوان والرقة ، من الفجور والحسكة . ذهن صاف مشبع بالثقافة الكلاسيكية ، وحس مشحوذ متعطش الى ملذات الجسد ، وقلب قلق متوقد كجمر يحترق ، وخيال محموم تتصارعه شتى الرؤى الفاجعة او البهية .

اجسام نسوة لها ملمس المخمل تنطوى تلوى الاغاصى ، واطفال جوعى يتلمسون اثداء امهات مزقت ظهورهن او نحورهن الخناجر ، وسماوات عاصفة متوعدة ولكننا نلمح فى ثنايا ضبابها شفافيات لطيفة كالغلائل ، وجثث يخيم من فوقها شؤم القدر ، ووجوه لعينها بريق فاوستى ، وخيول نافرة او زاحفة كموج المحيط وكأنما يفعل قوة باطنة لا تقاوم . . ذلكم هو عالم ديلاكروا كما يتبدى فى لوحاته . ولكن هذا النلوى هو ايضا عذاب نفس مؤرقة ، وهذا الجوع هو ايضا حرقة نفس ولهى ، وهذه العواصف هى ايضا بعض ما يجتاح الصدور من انواء او سحب مكفهرة .

استوحى دانتى وراسين وشكسبير . كما استوحى جلوك وموتسارت وبيتهوفن وكان بودلير يصغى اليه متحمسا لنظرياته فى لغة اللون ، وكان هو يصغى لشوبان متحمسا لحديثه عن «الفوج» و«الهاربونى» و «الكونترابنط» وهذا التلاقى الحميم بين الفنون الثلاثة — الشعر والتصوير والموسيقى — كان ظاهرة جديدة اتسم بها العصر الرومانتيكى .

وقد عاش ديلاكروا ايام ثورتى ١٨٣٠ ، ١٨٤٨ ، فصور نفسه عقب الثورة الاولى سائرا شاكى السلاح خلف «الحرية» . اما الثورة الثانية فلم يحرك لها ساكنا ، وانما رسم بعدها بقليل لوحة تصور معبوده ميكل انجيلو وحيدا فى مرسمه بجوار احد تماثيله يستريح قليلا من عناء الخلق . وقد فطن بعض النقاد حتى فى ذلك الحين ان الفنان لم يصور فى هذه اللوحة غير نفسه .

جانب من لوحة فتح القسطنطينية

رمسيس يونان